فكاهات

رواية

الشاهد الفجآئي [1]

كان لاحد سراة الالمان في مدينة برلين ابنان يقال لاكبرهما فرانز وللاصغر هرمن وكان لفرانز من العمر خمس وعشرون سنة ولهرمن اربع عشرة . وكان والداهما قبل ان يولد لهما هرمن قد جعلا كل ميلهما الى فرانز الذي هو البكر فلم يمنعاهُ شيئاً من مطالبهِ ورأى فرانز انهُ حاكم مطلق التصرف في بيت ابيهِ فاتبع اهواءهُ ولم يعبأ لهما بنهي ولا امر ولم يشأ والداهُ ان يزجراهُ عما هو فيهِ حرصاً على رضاهُ فلما ترعرع كان ولداً شريراً سيئ الطباع بذيء اللسان لا يخاف الله ولا يهاب انساناً وما بلغ العاشرة من عمرهِ حتى اسف والداهُ لما رأيا من حالهِ وندما على تهاونهما في تربيتهِ وتقويم طباعهِ . فلما وُلد لهما هرمن اجتهد الوالدان ان يحسنا تربيتهُ وا كملا القول بالفعل فشب خاضعاً طائعاً اديباً تقياً فكان آية الرصانة والصلاح وحسن السيرة كما كان اخوهُ انموذج الشر والرذيلة والفساد . وما زال شرّ فرانز يزداد والاخلاق السيئة تتأصل فيهِ كلما تقدم في السن حتى اصبح ضربةً على والديهِ واجتهدا في تقويمهِ بكل ذريعة استطاعاها فلم يجدِ فانقلبت محبتهما لهُ الى مقت

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وصرفا ميلها الى اخيهِ لما كان عليهِ من الوداعة والرقة والادب ورأى فرانز ميلها عنهُ الى اخيهِ هرمن فنفر من جميعهم واضمر لاخيهِ السوء وجعل يتوقع فرصةً للايقاع بهِ . وكان هرمن يذهب كل يوم الى محل تجارة والدهِ فيساعد الكتاب في اشغالهم ويلازمهم من الصباح الى المسآء اما فرانز فلم يكن يدخل المحل الا حين ينفد ما بيدهِ من النقود فيذهب في طلب غيرها . واتفق ان هرمن خرج يوماً للتنزه فرأى اخاهُ فرانز في منتدى جالساً الى جانب فتاةٍ بديعة الخلق يحادثها ويلاطفها وكان قد دعاها لمرافقتهِ ونسي ان ليس في جيبهِ شيءٌ من النقود فكان في ارتباك عظيم ولما رأى هرمن سُرّي عنهُ فدعاهُ باسماً وعرّفهُ بالفتاة واسمها اماليا ثم عرّفها باخيهِ هرمن وجلس الثلاثة معاً يتحادثون . ورأت اماليا البون الشاسع بين الاخوين فمال قلبها الى هرمن واظهرت لهُ الحب فلما رأى فرانز ذلك صرف اخاهُ بالتي هي احسن بعد ان اخذ منهُ مبلغاً من النقود وجعل بعد ذلك يتزلف الى اماليا بغية استمالتها والاقتران بها الا انها لم تكن لتزداد الا نفوراً منهُ لما كانت ترى من فظاظة طباعهِ ودناءة اطوارهِ واخيراً صرّحت لهُ انها قد شغفت بحب اخيهِ هرمن وانها ان تزوجت فلن يكون سواهُ بعلاً لها فكان ذلك مما زاد فرانز بغضةً لاخيهِ ونفاراً من سائر اهل البيت حتى لم يعد في امكان والدهِ ان يحتمل فظائعهُ فطردهُ من بيتهِ وحرمهُ من ارثهِ . وكانت هذه من اعظم الضربات على فرانز ولذلك صمم على الانتقام من اخيهِ هرمن وقد اعتقد انهُ هو سبب شقآئهِ ولما ضاقت في وجههِ المسالك عمد الى الحيلة الاخيرة فكتب الى اماليا رسالةً سرية يقول فيها

ايتها السيدة اماليا

قد قضي لي البخت ان اغادر هذه الديار الى الديار الاميركية وانا مسافر صباح غدٍ وسيخرج معي اخي هرمن يشيعني الى نيمن واحبُّ قبل براحي ان ارا كما تحت بركة الاكليل ولما كان قد ادركني موعد سفر الباخرة ولم يبقَ في امكاني انتظار تمام ذلك هنا فقد اتفقت مع اخي ان يكون اكليلكما في نيمن وعليهِ فسأنتظركِ غداً صباحاً في محطة السكة الحديدية لنركب معاً الى الموعد المذكور فيُعقد لكما هناك وترجعان واسافر انا الى الوجهة التي قُسمت لي فرانز

فلما وصل هذا الخطاب الى اماليا دفعها حب هرمن الى الانقياد بدون تبصّر فوافت فرانز وسافرا يقصدان نيمن . ولما بلغا الباخرة سأل فرانز احد النوتية عن اخيهِ هرمن فقال انهُ خرج لحاجةٍ وسيعود بعد قليل ولم تدرِ اماليا ان النوتي مستأجر لهذه الغاية فجعلت تنتظر الى ان خيم الظلام وبرد الهواء فانزلها فرانز الى غرفتهِ واغلق الباب . ولم يمضِ الا قليل حتى سمعت اماليا زفير البخار وشعرت بتقلقل الباخرة فصاحت ما هذا يا فرانز واين هرمن . فقال ايتها الشقية الا تزالين تذكرينهُ اوَلم تدري انني اودُّ ان اراهُ مقتولاً قبل ان ينال قلامةً من ظفركِ فاعلمي انني طُردت من بيت ابي بسببهِ وحُرمت ارثي وأُجبرت على مفارقة وطني لاجلهِ كل هذه المصائب نزلت بي بسبب هذا الوغد الزنيم . نعم انني هاربٌ ولكنني سأصادفهُ يوماً واغمد هذا الخنجر في فؤادهِ

وكانت اماليا تسمعهُ مرتجفةً خائفة فقالت اذاً ألا ترجعني الى بيت

ابي . قال هيهات فانا احبكِ ولستَ اسافر حتى تكوني معي فتعزبني في وحدتي . قالت ولكني لا احبك بل استعيذ بالله منك في كل دقيقة فكيف يمكنني ان اعزيك . قال ان لم تعزبني بكلامكِ فبمالكِ فاني لا اكتمكِ ان والدي قد طردني من بيتهِ وجحدني وحرمني نصيبي من مالهِ فان لم تصحبيني في سفري فلا اقلّ من ان تساعدبني بشيءٍ من مال ابيكِ . قالت كفى فقد علمت قصدك ايها الوحش الجهنمي فاطلب ما يلزمك من المال وخذهُ بطيبة نفس لكن تعدني انك تطلق سراحي اول في ميناءٍ نصل اليهِ . قال اعدكِ بذلك لكني لا اعرف الآن المقدار اللازم لي من الدراهم فاذا وقعتِ لي على ورقةٍ بيضآء اكتب فيها ما احتاج اليهِ عند اللزوم تركتكِ وشأنكِ . قالت هات الورق . فاخرج فرانز من جيبهِ ورقةً بيضآء فقطعها اربعة اقسام وطلب منها ان توقع اسمها على الاربع القطع ففعلت كذلك وهي لا تدري ما تفعل ولما فرغت رمت بالقلم في وجههِ وقالت خذ ايها اللص الخبيث قد سلبت مالي ومال ابي سلبك الله الراحة والهنآء . فجعل فرانز يقهقه ضاحكاً وهو يطوي الاوراق ويضعها في جيبهِ . وكانت اماليا قد خارت قواها بعد ما جرى فالقت بنفسها على السرير وغاصت في بحر نومٍ غير هنيء . وصعد فرانز الى ظهر الباخرة وجلس يدخن ويفكر في ما عساهُ ان يصنع وهاجتهُ افكارٌ شتى الى ان نبههُ قرع جرس الباخرة للساعة الثالثة بعد نصف الليل فهب مذعوراً ونزل الى الغرفة حيث كانت اماليا منطرحة على السرير فحملها بين ذراعيهِ وركي بها الى سطح الباخرة فافاقت وقبل ان تفتح فاها بكلام قال ايتها اللعينة انك لا تتزوجين بي فهل اسمح ان تكوني نصيباً لغيري . كلا

بل كوني نصيباً لسمك البحر فلن ارضى لكِ غيرهُ . ولما قال ذلك قذف بها من جانب الباخرة الى البحر وعاد الى الغرفة . ولما القت الباخرة مرساتها ارسل فرانز الرسالة الاولى الى والد اماليا بتوقيع ابنتهِ يقول فيها عن لسانها

يا والدي العزيز ـ اني قد هويت فرانز واقترنت بهِ وقد اضطرّتهُ الاحوال ان يسافر فجآءةً فسافرت معهُ وسأعود اليك واطلعك على كل ما جرى فلا تعود تلوم ابنتك فيما فعلت ولا تحرمني رضاك وحنوّك الابوي . والآن فانني في حاجةٍ شديدة الى النقود فارسل لي مما تركتهُ والدتي خمسين الف مرك ومتى بلغنا اميركا فسأكتب اليك ان ترسل لي الباقي الى هناك

ابنتك المطيعة اماليا

ولبث فرانز ينتظر يومين فوردهُ جواب الاب يصحبهُ حوالة بالمبلغ وفي الجواب تعنيفٌ شديد لابنتهِ على ما فعلت من الطيش والجهالة وانهُ قد صار يعتبرها غريبةً عنهُ ولا يهمهُ شيءٌ من امرها . اما فرانز فلم يهتمّ لشيء مما ذكر بل اكتفى بحصولهِ على الحوالة وما عتّم ان قبض المبلغ وعاد الى الباخرة متوجهاً الى الولايات المتحدة

وكثرت الاشاعات والتقوّلات بعد سفر فرانز فكان ذلك مما زاد في مضض والديهِ واسفهما ولما طالت المدة اخذا ينسيانهِ شيئاً فشيئاً ومرت على ذلك ثماني سنوات ولم يجرِ لفرانز ذكر ولا جآء عنهُ خبر فعُدَّ بين الاموات . اما هرمن فكان لا يزال جارياً على ما أُسّس عليهِ من محاسن الاخلاق والجدّ في طلب الرفعة في المنزلة والنجاح في الاعمال واصبحت لهُ ثروة خاصّة وكان والداهُ يرغبان في زواجهِ وهو ينفر من ذلك لانهُ كان قد وهب قلبهُ

لامالیا ولما علم بهربها مع اخيهِ نذر على نفسهِ التبتُّل وآلى ان لا يميل الى سواها غير ان والدهُ كان لا يمرُّ يومٌ الا يجتهد في اقناعهِ بوجوب الاقتران واخيراً قال لهُ انني قد شخت يا هرمن وامست شمسي على شرف المغيب وليس في نفسي شيءٌ من اماني الدنيا لأن الله قد انعم عليَّ بما يقرُّ العين ويسر النفس وجعل لي مثلك وارثاً لاسمي ومالي فاذا متُّ فاني اموت سعيدًا لكن يا بنيَّ ينقصني امرٌ واحد اتزوَّدهُ معي الى قبري وهو ان ارى لك عروساً تشاطرك الحياة ويكون لي منك النسل الباقي

وكان هرمن يتذكر اماليا فيهيج وجدهُ اليها ويجزم بعدم الاقتران بغيرها ثم يسمع كلمات والدهِ المؤثرة فيلين قلبهُ فقال لهُ ولكن يا والدي لا ارى فتاة يميل اليها قلبي . قال والدهُ انا اجدها لك فان نورا بنت البارون هرس آية في الجمال والآداب ومحاسن الخصال وقد علمت من والديها انها تميل اليك عن بعد وتتغزل في محبتك وان تكن لا تزورها فدونكها يا ولدي ودعني اموت طيّب الخاطر مسرور الفؤاد . وما زال يلحُّ على هرمن حتى ازوجهُ منها وكان هرمن يرى انهُ كمن ضحى نفسهُ لمرضاة غيرهِ فمذ وُجد مع زوجتهِ لم يكن يُرى الا حزين النفس مشتت الافكار وكانت نورا تحبهُ محبةً دونها العبادة وتجتهد بكل قواها ان تستميلهُ اليها فكان ذلك يزيد كربهُ اذ يراها تموت في هواهُ ولا يرى من نفسهِ ميلاً اليها ولا يستطيع ان يقابلها بمثل حبها

وفي ذات يوم عاد هرمن الى بيتهِ فلاحظت نورا انهُ قلق البال مضطرب الافكار فسألتهُ عما عرض لهُ قال رأيت اليوم شخصاً رابني منظرهُ

وقد دخل اليَّ وكلمني في بعض شؤون التجارة وكان في حديثهِ شيءٌ من الاهانة كمن يضمر لي شرًّا ويتعمد التحرش بي ليتنقم مني وهذه اول مرةٍ صادفني فيها مثل ذلك مع اجتهادي كل حياتي بعدم الاساءة الى احد . فجعلت نورا تخفف من هيجان افكارهِ وتجتهد في تسكين خواطرهِ ثم خرجت بهِ الى الحديقة يتنسمان الهوآء البارد فجلسا تحت شجرة غضة وجعلت نورا تقص على زوجها اخباراً مختلفة لتسرّي عنهُ همومهُ . وانهما كذلك واذا بشخصٍ قد هبط من الشجرة الى الارض لم يكادا يميزانهِ حتى صاحت نورا صيحةً عظيمة والقت بنفسها على صدر زوجها واذ ذاك دوى في الحديقة طلق رصاصٍ ووقعت المسكينة تختبط بدمآئها . فصاح هرمن وتراكض الخدم على صوت الرصاص فنقلوا الجثة الى سريرها وذهب منهم من يستدعي الطبيب واقبل هرمن يتفقد زوجتهُ ليتحقق موضع الاصابة ففتحت عينيها وقالت بصوتٍ متقطع لا شك ان هذا هو الشخص الذي ذكرتهُ لي وقد رأيتهُ مصوباً مسدسهُ نحو صدرك فتلقيت الرصاص بقلبي مدافعةً عنك فعسى ان هذا الفعل يحبب اليك ذكراي فتحبني بعد مماتي ثم انقطع صوتها وفاضت روحها . ولما حضر الطبيب وجدها قد فارقت الحياة ثم دخل بعدهُ زعيم الشرطة وبعد ان فحص المسئلة وعلم انهُ لم يكن احدٌ في الحديقة الا هرمن وزوجتهُ التفت الى هرمن وقال انني باسم الامبراطور القي عليك القبض للتحقيق فهلمَّ معي الى القضآء . واصاب هرمن نوعٌ من الذهول فلم يدرك شيئاً سوى انهُ انحنى على جثة نورا فقبلها مودعاً بدون ان يفوه بكلمة ثم طأطأ رأسهُ وتبع الشرطة

وفي الصباح التالي تعينت لجنةٌ لتحقيق الجريمة فأُقيم هرمن امام القضاة وجعل المحامون يتحاورون في قضيتهِ ويلقون عليهِ الاسئلة ولما لم يسعهُ تبرئة نفسهِ واثبات ان القاتل غيرهُ مال الفاحصون الى تذنيبهِ واذ ذاك فُتح باب المحكمة ودخلت فتاةٌ قد سترت وجهها بلثام ثم تبعها اثنان من الشرط يقودان رجلاً قد غُلَّت يداهُ . فتقدمت الفتاة الى دكة القضآء ثم استقبلت الحضور وبعد ان استأذنت القاضي شرعت في الكلام فقالت

اذا كان من حقوق العدل ان يؤخذ المجرم بجريمتهِ فمن حقوق المروءة ان لا يُترك البريء يؤخذ بذنب المسيء واني لعلى يقين تام من ان هذا المتهم مظلوم فيما أُلصق بهِ من تهمة القتل مجنيٌّ عليهِ جناية مضاعفة بقتل امرأتهِ ثم احالة الجريمة عليهِ وتعريضهِ للاقتصاص منهُ وانما القاتل في الحقيقة هو هذا الظالم ـ وأشارت الى الرجل الموثق ـ وهو اخو المتهم المسمى فرانز المشهور بكثرة شرورهِ وقبح سيرتهِ . ثم أفاضت في سرد قصة فرانز وما كان من محبتهِ لامالیا وحيلتهِ عليها وسلبهِ مالها وطرحهِ اياها في البحر ثم اتمت القصة فقالت وسقطت تلك المسكينة بين أمواج اليمّ غائبةً عن رشدها ولم تعِ الا وهي بين ايدي رجلين من الصيادين التقطاها من البحر وجعلت بعد ذلك تسترزق اهل الاحسان حتى عادت الى بيت ابيها بعد سنة من تاريخ هربها فوجدت ان الشقي فرانز قد استنزف كل مالها وانهُ اثار عليها حنق والدها فطردها من بيتها وانكرها ولعنها ولما اصبحت في تلك الحالة عزمت ان تبحث في انحآء المعمور لتظفر بمغريها وسالبها فتنتقم منهُ جزآء ما أوصلها اليهِ من الشقآء وجعلت تسافر من بلدةٍ الى اخرى وكلما اعوزتها

النفقة احتالت على تحصيلها من تعب يديها حتى بلغت اميركا واهتدت الى المحل الذي كان يقيم فيهِ ولما سألت عنهُ وجدت انهُ قد عاد الى برلين فعادت على اعقابها في طلبهِ حتى رأتهُ هنا منذ يومين فجعلت تتبعهُ وتراقب اعمالهُ وحركاتهِ وتترصد منهُ فرصةً للانتقام وقد رأتهُ امس في قلقٍ عظيم فأوجست شرًّا في افكارهِ حتى اذا أمسى وهي تتبعهُ عن بعدٍ رأتهُ قد تسلَّق جدار حديقة هرمن فتربصت لهُ حيث تراهُ ولا يراها ولما نزل هرمن وزوجتهُ الى الحديقة اسرع هذا اللعين فرانز فصوَّب مسدسهُ الى صدر اخيهِ ورأت الزوجة ما يتهدد زوجها فارتمت على صدرهِ لتحميهُ وكانت تلك الدقيقة آخر حياتها . وظن فرانز انهُ قد أدرك غرضهُ من قتل اخيهِ فعمد الى الفرار ولما رأت اماليا ما كان تحققت انهُ هو هو فتبعتهُ ولم تزل تجدّ في أثرهِ حتى دخل حانةً فاستدعت رجال الشرط وسلمتهم اياهُ وقادتهُ الى هنا وهآءنذا اماليا التي تكلمكم وأماطت لثامها عن وجهها فعرفها الجميع

اما هرمن فكان يفضل الموت على سماع هذه الامور عن أخيهِ فطأطأ رأسهُ حزيناً وعادت المحكمة الى فحص القضية فبرَّأت ساحة هرمن فعاد الى بيتهِ ليندب المسكينة نورا وأما فرانز فحكم عليهِ بالاشغال الشاقة وأرسل الى السجن الذي لا يعود منهُ . ثم أخذت اماليا في التردد على هرمن تسليهِ وتعزّيهِ ورأى من محبتها لهُ وتركها بدون نصير ما عطف قلبهُ عليها فعاودهُ الحب الاوّل واقترن بها ورأى من عظم مودتها وحسن معاملتها ما أنساهُ احزانهُ فقضيا بقية ايامهما بسلام الى ان فرَّق بينهما داعي الحِمام